الفصل الثاني

# الطريق إلى الآخرة

عمر كل إنسان ما يعيشه على الأرض من سنوات، وقد خلق الله الإنسان وجعل لكل واحد عمراً محدداً وكلفه بالعبادة، أن يعبد الله الواحد الأحد لا يشرك به شيئاً، وترَكَ مؤاخذة المجنون والصغير حتى يبلغ، والمغمى عليه حتى يفيق، وقد جعل الله تعالى لحياة الإنسان على الأرض مدة محددة هو أعلم بها، وعليه أن يجني خلال هذه الفترة ما استطاع من حسنات فهي فترة عمله، وعلى هذا فهو غير معني بمن سبقه لكي يطيل الوقوف على أطلالهم ويمضي وقته منقباً في خرائبهم إلا بقدر، ولا بمن سيأتي بعده إلا بقدر أيضاً، بمعنى أن يستفيد من تجارب من سبقوه وما تركوه للخلف من علم نافع ، وأن يترك هو لمن بعده أثراً صالحاً يعود

عليه بالنفع وعليهم بالفائدة، كما ورد في الحديث الشريف **﴿إذا مات ابن آدم انقطع عمله إلا من ثلاث صدقة جارية وعلم ينتفع به وولد صالح يدعو له﴾** فمصيره يتحدد بهذه الفترة من حياته، وأهمها الإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر والقضاء والقدر خيره وشره من الله تعالى، وأن يعمل بالأركان ويسلك السيرة الصالحة في مجتمعه، فإذا ما حان أجله وأتاه الموت كانت ساعته، وقامت قيامته كما ورد في الأثر "**من مات فقد قامت قيامته**" ﴿يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلسَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَىٰهَا ۖ قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ رَبِّى ۖ ... ﴿١٨٧﴾﴾ [الأعراف: ١٨٧] وقد بين لنا النبي (ﷺ) أمارات قربها ولكن ليس وقت مجيئها بالتحديد لأنها تأتي فجأة سريعة بكلمة كن من الله القدير الذي وقّتها ﴿... وَمَآ أَمْرُ ٱلسَّاعَةِ إِلَّا كَلَمْحِ ٱلْبَصَرِ أَوْ هُوَ أَقْرَبُ ۚ ... ﴿٧٧﴾﴾ [النحل: ٧٧] والدهريون كذبوا خبر

الساعة وظنوا أن الحياة في الدنيا مستمرة بلا نهاية، فهل يعقل أن لا يكون للدنيا نهاية؟ وإلا لفاز الظالم بظلمه والفاسق بفسقه والقاتل بما قتل والملحد بما ألحد ولضاع حق المصلح والصالح وأهل الإيمان، وحرموا من المكافأة لقاء ما قدموا، ولو كانت الدنيا فوضى يمتلكها الشرير القوي ويفوز بها ذو العصبة والقوة لأصبحت الدنيا للأشرار ولما قام فيها بناء ولدمرت نفسها بنفسها وقضي على من فيها، ولكن حكمة صانعها جعلتها في حركة مستمرة لا يثبت فيها الشر فسرعان ما تقليه وتجعل تدميره في تدبيره،لقد وضع الله للكون نظاماً محكماً وحداً للظلم لا يتجاوزه،فإذا ما تجاوز الظالم الحد وعتى بظلمه يدمر الأخضر واليابس على الأرض، أوقفه بقاهر من جنسه، لذلك فإن الأرض تنفي خبثها كما تنفي النار خبث الحديد، وتاريخ الأمم شاهد على مر العصور واقرؤوا إن شئتم صدر سورة

الإسراء وما فعل ببني إسرائيل ومن سلط عليهم لما تجاوزوا الحد في الظلم والإفساد - على الرغم من أن الله قد فضلهم على العالمين في ذلك الوقت- لهذا فما من دولة قامت على الظلم ثم طغت وتجبرت وتجاوزت الحد في القتل والتدمير وإزهاق الأنفس إلا أذلها الله وسلط عليها من يقهرها ويبيدها، وصاحب العقل الناضج يدرك أنه لا بد من محاسب يحاسب أهل الشر على ما اقترفوه ويجزي أهل الخير على ما بذلوا من الإصلاح والإعمار ونشر الحياة على الأرض، فالدهريون أخطؤوا الطريق جهلاً وإلغاءً للعقل والفكر ﴿وَقَالُوا مَا هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا يُهْلِكُنَا إِلَّا الدَّهْرُ وَمَا لَهُم بِذَٰلِكَ مِنْ عِلْمٍ إِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ ﴿٢٤﴾﴾ [الجاثية: ٢٤] فكان الرد عليهم بعد هذا الإنكار الذي لا يصدر إلا عن جهلة مغفلين قد عطلوا العقل عن التفكير ﴿قُلِ اللَّهُ يُحْيِيكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يَجْمَعُكُمْ إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ

لَا رَيْبَ فِيهِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٢٦﴾ وَلِلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَيَوْمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ يَوْمَئِذٍ يَخْسَرُ ٱلْمُبْطِلُونَ ﴿٢٧﴾ ﴾ [الجاثية: ٢٦ - ٢٧] فنهاية الدنيا إذاً حتمية بعد أن تأخذ وقتها الذي وقته الله لها، ولكن كما قيل إن لكل إنسان قيامته فموته يفضي إلى قيامته، ومعنى هذا أن من يموت لا يشعر بطول الانتظار فما هي إلا غفوة وتأتي الساعة،وقد أورد القرآن ما يدل على ذلك في عدة مواضع،ففي قصة العزير،قال الله تعالى: ﴿ أَوْ كَٱلَّذِى مَرَّ عَلَىٰ قَرْيَةٍ وَهِىَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا قَالَ أَنَّىٰ يُحْىِۦ هَٰذِهِ ٱللَّهُ بَعْدَ مَوْتِهَا ۖ فَأَمَاتَهُ ٱللَّهُ مِا۟ئَةَ عَامٍ ثُمَّ بَعَثَهُۥ ۖ قَالَ كَمْ لَبِثْتَ ۖ قَالَ لَبِثْتُ يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ ۖ قَالَ بَل لَّبِثْتَ مِا۟ئَةَ عَامٍ ... ﴿٢٥٩﴾ ﴾ [البقرة: ٢٥٩] وفي قصة أصحاب الكهف ﴿ وَكَذَٰلِكَ بَعَثْنَٰهُمْ لِيَتَسَآءَلُوا۟ بَيْنَهُمْ ۚ قَالَ قَآئِلٌ مِّنْهُمْ كَمْ لَبِثْتُمْ ۖ قَالُوا۟ لَبِثْنَا يَوْمًا أَوْ

بَعْضَ ...﴿١٩﴾﴾ [الكهف: ١٩] ثم يأتي الجواب من العلي القدير عن مقدار لبثهم ﴿وَلَبِثُوا۟ فِى كَهْفِهِمْ ثَلَٰثَ مِا۟ئَةٍ سِنِينَ وَٱزْدَادُوا۟ تِسْعًا ﴿٢٥﴾﴾ [الكهف: ٢٥] وفي سورة يونس ﴿وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ كَأَن لَّمْ يَلْبَثُوٓا۟ إِلَّا سَاعَةً مِّنَ ٱلنَّهَارِ ...﴿٤٥﴾﴾ [يونس: ٤٥] وفي سورة الروم ﴿وَيَوْمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ يُقْسِمُ ٱلْمُجْرِمُونَ مَا لَبِثُوا۟ غَيْرَ سَاعَةٍ ۚ كَذَٰلِكَ كَانُوا۟ يُؤْفَكُونَ ﴿٥٥﴾﴾ [الروم: ٥٥] يدل هذا على أن الميت الأول منذ بدء الخليقة ومن تلاه من أموات إلى أن تقوم الساعة لا يشعرون بمدة مكثهم وهم أموات؛ طالت المدة أم قصرت مع راحة لروح المؤمن وضيق وعذاب لروح الكافر، ففي الحديث الذي أخرجه البخاري عن عائشة رضي الله عنها أن: "**يهودية جاءت تسألها، فقالت لها: أعاذك الله من عذاب القبر، فسألت عائشة رسول الله ﷺ أيعذب الناس في قبورهم؟ فقال رسول الله**

(ﷺ): «عائذاً بالله من ذلك» وفي رواية مسلم قالت عائشة: «ما صلى صلاة بعد ذلك إلا سمعته يتعوذ من عذاب القبر» وأخرج مسلم عنها أن رسول الله (ﷺ) كان يدعو بهؤلاء الدعوات: «اللهم فإني أعوذ بك من فتنة النار وعذاب النار وفتنة القبر وعذاب القبر ومن شر فتنة الغنى ومن شر فتنة الفقر وأعوذ بك من شر فتنة المسيح الدجال، اللهم اغسل خطاياي بماء الثلج والبرد ونق قلبي من الخطايا كما ينقى الثوب الأبيض من الدنس وباعد بيني وبين خطاياي كما باعدت بين المشرق والمغرب، اللهم فإني أعوذ بك من الكسل والهرم والمأثم والمغرم»

إن هول القيامة شديد وسوف يقاسي منه الإنسان الشدائد والتعب والخوف ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُوا۟ رَبَّكُمْ ۚ إِنَّ زَلْزَلَةَ ٱلسَّاعَةِ شَىْءٌ عَظِيمٌ ۝١ يَوْمَ تَرَوْنَهَا تَذْهَلُ كُلُّ مُرْضِعَةٍ عَمَّآ أَرْضَعَتْ وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمْلٍ حَمْلَهَا وَتَرَى ٱلنَّاسَ سُكَٰرَىٰ وَمَا هُم

﴿بِسُكَٰرَىٰ وَلَٰكِنَّ عَذَابَ ٱللَّهِ شَدِيدٌ ۝٢﴾ [الحج: ١ - ٢]

قال المفسرون: هذه الزلزلة مقدمة ليوم القيامة وهي من علاماتها الكبرى، وقالوا هي النفخة الأولى

﴿يَوْمَ تَرْجُفُ ٱلرَّاجِفَةُ ۝٦ تَتْبَعُهَا ٱلرَّادِفَةُ ۝٧﴾ [النازعات: ٦ - ٧]

وقد بينت سورة الزلزلة أيضاً ما يحدث عند الزلزلة الكبرى ﴿إِذَا زُلْزِلَتِ ٱلْأَرْضُ زِلْزَالَهَا ۝١ وَأَخْرَجَتِ ٱلْأَرْضُ أَثْقَالَهَا ۝٢ وَقَالَ ٱلْإِنسَٰنُ مَا لَهَا ۝٣ يَوْمَئِذٍ تُحَدِّثُ أَخْبَارَهَا ۝٤ بِأَنَّ رَبَّكَ أَوْحَىٰ لَهَا ۝٥ يَوْمَئِذٍ يَصْدُرُ ٱلنَّاسُ أَشْتَاتًا لِّيُرَوْا۟ أَعْمَٰلَهُمْ ۝٦﴾ [الزلزلة: ١ - ٦] بهذه الزلزلة تخرج الأرض ما في جوفها من موتى وكنوز، وأخرج مسلم والترمذي عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال: **﴿تقيء الأرض أفلاذ كبدها أمثال الأسطوان من الذهب والفضة، فيجيء القاتل فيقول: في هذا قَتَلتُ، ويجيء القاطع فيقول في هذا قطعت رحمي، ويجيء السارق**

فيقول: في هذا قُطعت يدي، ثم يَدَعونه فلا يأخذون منه شيئاً» وأما معنى تحدث أخبارها: فهي تخبر عن كل ما فعله بنو آدم على ظهرها، وفي الحديث الذي أخرجه الترمذي عن أبي هريرة وصححه أن رسول الله (ﷺ) قرأ ﴿يَوْمَئِذٍ تُحَدِّثُ أَخْبَارَهَا ۝٤﴾ [الزلزلة: ٤] قال: «أتدرون ما أخبارها؟ قالوا الله ورسوله أعلم، قال: فإن أخبارها أن تشهد على كل عبد وأمة بما عمل على ظهرها، تقول عمل كذا وكذا، فهذا أخبارها» وأما معنى يصدر الناس أشتاتاً: أي يخرجون من القبور متفرقين ليوم الحشر والحساب، لذلك ﴿فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُۥ ۝٧ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُۥ ۝٨﴾ [الزلزلة: ٧ - ٨] وهذا عندما يأخذ كل إنسان كتابه، وأما مكان الحشر فهو على أرض غير الأرض التي نعرفها، ففي الحديث المخرّج في الصحيحين عن سهل بن

سعد قال: سمعت النبي (ﷺ) يقول: ﴿يحشر الناس يوم القيامة على أرض بيضاء عفراء كقرصة نقي ليس فيها مَعْلم لأحد﴾ ومعنى عفراء: بيضاء خالطتها حمرة قليلة، وقرصة النقي الرغيف من الدقيق الأبيض إذا خُبِزَ، والمعنى مسطحة خالية من الهضاب والأودية والجبال لا من قريب ولا من بعيد بلون ترابي فاتح.

## ماذا في يوم القيامة ؟

- النفخة الأولى ﴿فَإِذَا نُفِخَ فِي ٱلصُّورِ نَفْخَةٌ وَٰحِدَةٌ ﴿١٣﴾ وَحُمِلَتِ ٱلْأَرْضُ وَٱلْجِبَالُ فَدُكَّتَا دَكَّةً وَٰحِدَةً ﴿١٤﴾ فَيَوْمَئِذٍ وَقَعَتِ ٱلْوَاقِعَةُ ﴿١٥﴾﴾ [الحاقة: ١٣ – ١٥] فهذه هي النفخة الأولى التي يصعق فيها من كان حياً على وجه الأرض، أما الأرض وما عليها فتدك مرة واحدة بقوة فتصبح غباراً، وتستمر الأرض خامدة على هذه الحالة أربعين سنة ثم تعقبها النفخة الثانية نفخة البعث فيخرج الناس في أرض غير الأرض المعهودة التي

انقلبت غباراً ﴿ يَوْمَ تُبَدَّلُ ٱلْأَرْضُ غَيْرَ ٱلْأَرْضِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ وَبَرَزُوا۟ لِلَّهِ ٱلْوَٰحِدِ ٱلْقَهَّارِ ﴿٤٨﴾ ﴾ [إبراهيم: ٤٨] وفي سورة يس ﴿ مَا يَنظُرُونَ إِلَّا صَيْحَةً وَٰحِدَةً تَأْخُذُهُمْ وَهُمْ يَخِصِّمُونَ ﴿٤٩﴾ ﴾ [يس: ٤٩] تأتيهم وهم لاهون منشغلون في أسواقهم وبيعهم وشرائهم وجدالهم فيصعقون منها.

- ثم تأتي النفخة الثانية نفخة البعث ﴿ وَنُفِخَ فِى ٱلصُّورِ فَإِذَا هُم مِّنَ ٱلْأَجْدَاثِ إِلَىٰ رَبِّهِمْ يَنسِلُونَ ﴿٥١﴾ ﴾ [يس: ٥١] فيخرج من القبور كل الموتى من صعق ومن كان ميتاً من قبل لذلك يقول الموتى ﴿ قَالُوا۟ يَٰوَيْلَنَا مَنۢ بَعَثَنَا مِن مَّرْقَدِنَا ۜ هَٰذَا مَا وَعَدَ ٱلرَّحْمَٰنُ وَصَدَقَ ٱلْمُرْسَلُونَ ﴿٥٢﴾ ﴾ [يس: ٥٢] فبهذه الصيحة الثانية يقوم فيها الخلق من قبورهم كالجراد المنتشر ويتوافدون لأرض المحشر ﴿ خُشَّعًا أَبْصَٰرُهُمْ يَخْرُجُونَ مِنَ

﴿ٱلْأَجْدَاثِ كَأَنَّهُمْ جَرَادٌ مُّنتَشِرٌ ۝٧﴾ [القمر: ٧] وبعد جهد وتعب وأهوال ينتقلون إلى موقف آخر من مواقف هذا اليوم الطويل فيحاسبون على ما فعلوه في الدنيا ﴿إِن كَانَتْ إِلَّا صَيْحَةً وَٰحِدَةً فَإِذَا هُمْ جَمِيعٌ لَّدَيْنَا مُحْضَرُونَ ۝٥٣ فَٱلْيَوْمَ لَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْـًٔا وَلَا تُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ۝٥٤﴾ [يس: ٥٣ – ٥٤]، ففي سورة يس كان ترتيب النفخات أو الصيحات، وفي سورة الحاقة ذكرت النفخة فأعقبها آيات الحساب دون أن تذكر النفخة الثانية؛ لذلك هنالك من قال إنها النفخة الثانية، وفي سورة الزمر توضيح للنفختين ﴿وَنُفِخَ فِى ٱلصُّورِ فَصَعِقَ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِى ٱلْأَرْضِ إِلَّا مَن شَآءَ ٱللَّهُ ۖ ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَىٰ فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنظُرُونَ ۝٦٨﴾ [الزمر: ٦٨] والاستثناء في (إِلَّا مَن شَآءَ ٱللَّهُ ) هو

لعدد من الملائكة المقربين وحملة العرش، أما من الإنس والجن فلا ،لكن ورد في الحديث الصحيح أن النبي ﷺ قال عند النفخة الثانية: ﴿**فأكون أول من يرفع رأسه فإذا أنا بموسى آخذ بقائمة من قوائم العرش فلا أدري أرفع رأسه قبلي أو كان ممن استثنى الله ؟**﴾ وقيل إن موسى صعق في الدنيا حين قال ﴿...رَبِّ أَرِنِيٓ أَنظُرۡ إِلَيۡكَۚ... ﴿١٤٣﴾﴾ [الأعراف: ١٤٣] فلم يجمع له الله صعقتين. والله أعلم.

- **يتجمع الناس** من أدنى الأرض وأقصاها في صعيد واحد، ويساقون راغبين أو راهبين إلى مكان التجمع،وقد يمضي بعضهم الأيام والشهور حتى يصل إلى المكان، أما كيفية الدلالة عليه فقد ورد في الحديث الذي أخرجه البخاري عن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال: ﴿**يحشرالناس على ثلاث طرائق: راغبين راهبين، واثنان على بعير،وثلاثة على**

بعير، وأربعة على بعير، وعشرة على بعير، ويَحْشُرُ بقيتهم النار، تَقيل معهم حيث قالوا وتبيت معهم حيث باتوا وتصبح معهم حيث أصبحوا، وتمسي معهم حيث أمسوا» فالنار على هذا تسوقهم إلى مكان الحشر، ومعنى تقيل: أي تنتظرهم إذا ناموا بعد الظهر، وهذا مصداق قوله تعالى: ﴿ وَيَوْمَ نُسَيِّرُ ٱلْجِبَالَ وَتَرَى ٱلْأَرْضَ بَارِزَةً وَحَشَرْنَٰهُمْ فَلَمْ نُغَادِرْ مِنْهُمْ أَحَدًا ﴿٤٧﴾ وَعُرِضُوا۟ عَلَىٰ رَبِّكَ صَفًّا لَّقَدْ جِئْتُمُونَا كَمَا خَلَقْنَٰكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍۭ بَلْ زَعَمْتُمْ أَلَّن نَّجْعَلَ لَكُم مَّوْعِدًا ﴿٤٨﴾ ﴾ [الكهف: ٤٧ – ٤٨].

- **اختلاط الناس** بعضهم ببعض مع ذل وهوان، فليس من فرق بين شريف ووضيع ﴿ فَإِذَا نُفِخَ فِى ٱلصُّورِ فَلَآ أَنسَابَ بَيْنَهُمْ يَوْمَئِذٍ وَلَا يَتَسَآءَلُونَ ﴿١٠١﴾ ﴾ [المؤمنون: ١٠١] ملايين الملايين من البشر قد حشروا في صعيد واحد حفاة عراة غرلاً وقد اختلط

بعضهم ببعض؛ من كان في القرون الأولى ومن جاء في القرون اللاحقة، وجوه لم يألفها أحد غربة وكربة وترقب للخطر،وقد شبهت وقفة عرفات بهذا اليوم، ولكن من حيث الاجتماع فقط ،ففي وقفة عرفات وحدة المسلمين في عصر واحد وهم كلهم موحدون يرفعون أكف الضراعة إلى الله بطمأنينة وبشر رجاء المغفرة والرضوان،وفي يوم القيامة أهوال واختلاط غريب لأجيال تعاقبت على الأرض ثم خرجت من القبور لهذا الموقف، فالنفخة بحد ذاتها مرعبة فكيف بما يعقبها؟ ﴿ وَيَوْمَ يُنفَخُ فِي ٱلصُّورِ فَفَزِعَ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِي ٱلْأَرْضِ إِلَّا مَن شَآءَ ٱللَّهُ ۚ وَكُلٌّ أَتَوْهُ دَٰخِرِينَ ﴿٨٧﴾ ﴾ [النمل: ٨٧] وداخرين: بمعنى صاغرين ذليلين.

• **طول** هذا اليوم ﴿... وَإِنَّ يَوْمًا عِندَ رَبِّكَ كَأَلْفِ سَنَةٍ مِّمَّا تَعُدُّونَ ﴿٤٧﴾﴾ [الحج: ٤٧] وفي سورة المعارج ﴿سَأَلَ سَآئِلٌ بِعَذَابٍ وَاقِعٍ ﴿١﴾ لِّلْكَافِرِينَ لَيْسَ لَهُ دَافِعٌ ﴿٢﴾ مِّنَ اللَّهِ ذِي الْمَعَارِجِ ﴿٣﴾ تَعْرُجُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ إِلَيْهِ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ ﴿٤﴾﴾ [المعارج: ١ - ٤] على رأي من قال: عنى به يوم القيامة، قال ابن عباس: هو يوم القيامة جعله الله على الكافرين خمسين ألف سنة ثم يدخلون النار للاستقرار.

• **أهوال** هذا اليوم، قال الضحاك: ﴿... يَوْمًا يَجْعَلُ الْوِلْدَانَ شِيبًا ﴿١٧﴾﴾ [المزمل: ١٧]، كان ابن مسعود يقول: إذا كان يوم القيامة دعا ربُّنا المِلكُ آدمَ، فيقول: يا آدم قم فابعث بعث النار، فيقول آدم أي رب لا علم لي إلا ما علمتني، فيقول الله له: أخرج

من كل ألف تسعمائة وتسعاً وتسعين فيساقون إلى النار سوداً مقرنين زرقاً كالحين، فيشيب هنالك كل وليد ﴿فَكَيْفَ تَتَّقُونَ إِن كَفَرْتُمْ يَوْمًا يَجْعَلُ الْوِلْدَانَ شِيبًا ﴿١٧﴾﴾ [المزمل: ١٧] وأما شكلهم فهو معروف ﴿يُعْرَفُ الْمُجْرِمُونَ بِسِيمَاهُمْ فَيُؤْخَذُ بِالنَّوَاصِي وَالْأَقْدَامِ ﴿٤١﴾﴾ [الرحمن: ٤١] فهم سود الوجوه، زرق العيون ﴿يَوْمَ يُنفَخُ فِي الصُّورِ ۚ وَنَحْشُرُ الْمُجْرِمِينَ يَوْمَئِذٍ زُرْقًا ﴿١٠٢﴾﴾ [طه: ١٠٢] وهناك صنف من الذين أشركوا يهانون أكثر في الحشر جزاء ما اقترفوا من إنكار البعث، قال الله تعالى: ﴿وَمَن يَهْدِ اللَّهُ فَهُوَ الْمُهْتَدِ ۖ وَمَن يُضْلِلْ فَلَن تَجِدَ لَهُمْ أَوْلِيَاءَ مِن دُونِهِ ۖ وَنَحْشُرُهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ عُمْيًا وَبُكْمًا وَصُمًّا ۖ مَّأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ ۖ كُلَّمَا خَبَتْ زِدْنَاهُمْ سَعِيرًا ﴿٩٧﴾ ذَٰلِكَ

جَزَآؤُهُم بِأَنَّهُمْ كَفَرُوا۟ بِـَٔايَـٰتِنَا وَقَالُوٓا۟ أَءِذَا كُنَّا عِظَـٰمًا وَرُفَـٰتًا أَءِنَّا لَمَبْعُوثُونَ خَلْقًا جَدِيدًا ﴿٩٨﴾﴾ [الإسراء: ٩٧ – ٩٨].

- سؤال الناس عما فعلوه في الدنيا:

﴿فَوَرَبِّكَ لَنَسْـَٔلَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٩٢﴾ عَمَّا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٩٣﴾﴾ [الحجر: ٩٢ – ٩٣] فهناك عدد من الآيات تدل على سؤال الناس جميعاً مسلمهم وكافرهم ﴿ثُمَّ لَتُسْـَٔلُنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ ٱلنَّعِيمِ ﴿٨﴾﴾ [التكاثر: ٨] لكن كما ورد في الحديث "**من نوقش الحساب فقد عذب**" معناه أن سؤال المؤمنين سيكون هيناً ﴿فَأَمَّا مَنْ أُوتِىَ كِتَـٰبَهُۥ بِيَمِينِهِۦ ﴿٧﴾ فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا ﴿٨﴾﴾ [الانشقاق: ٧ – ٨] علماً بأن هناك سبعين ألفاً يدخلون الجنة بغير حساب كما ورد في الحديث الصحيح، والعصاة يحاسبون حساب تصفية واقتصاص، كما في حديث المفلس الذي أخرجه مسلم عن أبي هريرة أن رسول الله

﴿ﷺ﴾ قال: ﴿أتدرون من المفلس؟ قالوا : المفلس فينا من لا درهم له ولا متاع، فقال إن المفلس من أمتي من يأتي يوم القيامة بصلاة وزكاة ويأتي قد شتم هذا وقذف هذا وأكل مال هذا وسفك دم هذا وضرب هذا فيعطى هذا من حسناته وهذا من حسناته فإن فنيت حسناته قبل أن يُقضى ما عليه أُخذ من خطاياهم فطرحت عليه ثم طرح في النار﴾ أما الكفار فسيكون حسابهم طويلاً وعسيراً ﴿وَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَٰبَهُۥ وَرَآءَ ظَهْرِهِۦ ﴿١٠﴾ فَسَوْفَ يَدْعُوا۟ ثُبُورًا ﴿١١﴾ وَيَصْلَىٰ سَعِيرًا ﴿١٢﴾﴾ [الانشقاق: ١٠ – ١٢] وأما قوله تعالى: ﴿فَيَوْمَئِذٍ لَّا يُسْـَٔلُ عَن ذَنۢبِهِۦٓ إِنسٌ وَلَا جَآنٌّ ﴿٣٩﴾﴾ [الرحمن: ٣٩]، فهؤلاء عتاة المجرمين الذين لا يوجد لهم أيُّ عمل في الخير فصفحتهم سوداء مظلمة فيها كل أنواع الموبقات، وكما يقال : ليس بعد الكفر ذنب، كالذي يسلّم في الاختبار ورقة الإجابة وليس فيها أي خط سيقول له المصحح حين يراها على الفور: أنت راسب، لأن

هؤلاء المجرمين معروفون بسيماهم ﴿يُعْرَفُ ٱلْمُجْرِمُونَ بِسِيمَٰهُمْ فَيُؤْخَذُ بِٱلنَّوَٰصِى وَٱلْأَقْدَامِ ﴿٤١﴾﴾ [الرحمن: ٤١].

- **الحشر وصعوبة** الموقف وطوله، وفي الحديث الذي أخرجه مسلم عن عائشة رضي الله عنها قالت: سمعت رسول الله (ﷺ) يقول: **(يحشر الناس يوم القيامة حفاة عراة غرلاً، قلت يا رسول الله النساء والرجال جميعاً ينظر بعضهم إلى بعض ! قال رسول الله (ﷺ): الأمر أشد من أن ينظر بعضهم إلى بعض)** وذلك من هول ذلك اليوم، وغرلاً: كخلقهم الأول غير مختونين، وفي رواية أخرى أن إبراهيم عليه السلام أول من يكسى يوم القيامة، ثم يكسى بعده النبي (ﷺ).
- **الموقف الصعب** تحت أشعة الشمس، وأخرج مسلم عن المقداد بن الأسود أن رسول الله (ﷺ) قال: **(تُدنى الشمس يوم القيامة من الخلق حتى تكون**

منهم كمقدار ميل، قال سليم بن عامر فوالله ما أدري ما يعني بالميل أمسافة الأرض أم الميل الذي تكتحل به العين، قال: فيكون الناس على قدر أعمالهم في العرق، فمنهم من يكون إلى كعبه، ومنهم من يكون إلى حقويه، ومنهم من يلجمه العرق إلجاماً قال: وأشار النبي ﷺ بيده إلى فيه» والحقوين: أسفل الخاصرة.

- **غضب من الله** ثم يعقبه شفاعة وفرج الانتقال من هذا الموقف، أخرج البخاري عن أبي هريرة قال: كنا مع النبي ﷺ في دعوة فرُفِع إليه الذراع وكانت تعجبه فنهس منها نهسة ثم قال: «أنا سيد القوم يوم القيامة هل تدرون بم يجمع الله الأولين والآخرين في صعيد واحد فيبصرهم الناظر ويسمعهم الداعي وتدنو منهم الشمس فيقول بعض الناس ألا ترون إلى ما أنتم فيه إلى ما بلغكم؟ ألا تنظرون إلى من يشفع لكم إلى ربكم؟ فيقول بعض الناس: أبوكم آدم، فيأتونه فيقولون: يا آدم أنت أبو البشر خلقك الله بيده ونفخ

فيك من روحه وأمر الملائكة فسجدوا لك وأسكنك الجنة؛ ألا تشفع لنا إلى ربك ألا ترى ما نحن فيه وما بلغنا، فيقول: ربي غضب غضباً لم يغضب قبله مثله ولا يغضب بعده مثله ونهاني عن الشجرة فعصيته، نفسي نفسي، اذهبوا إلى غيري، اذهبوا إلى نوح، فيأتون نوحاً، فيقولون : يا نوح أنت أول الرسل إلى أهل الأرض وسماك الله عبداً شكوراً أما ترى ما نحن فيه؟! ألا ترى ما بلغنا،ألا تشفع لنا إلى ربك فيقول: ربي غضب اليوم غضباً لم يغضب قبله مثله ولا يغضب بعده مثله نفسي نفسي، اذهبوا إلى غيري، اذهبوا إلى إبراهيم، فيأتون إبراهيم، فيقولون: يا إبراهيم أنت نبي الله وخليله من أهل الأرض اشفع لنا إلى ربك ألا ترى ما نحن فيه؟ فيقول لهم: إن ربي قد غضب اليوم غضباً لم يغضب قبله مثله ولن يغضب بعده مثله وإني كنت كذبت ثلاث كذبات – فذكرهن أبو حيان – اذهبوا إلى غيري ، اذهبوا إلى موسى، فيأتون موسى فيقولون: يا

موسى أنت رسول الله فضلك الله برسالته وبكلامه على الناس، اشفع لنا إلى ربك، ألا ترى ما نحن فيه ؟ فيقول: إن ربي غضب اليوم غضباً لم يغضب قبله مثله ولن يغضب بعده مثله وإني قد قتلت نفساً لم أومر بقتلها، نفسي نفسي، اذهبوا إلى غيري، اذهبوا إلى عيسى بن مريم، فيأتون عيسى، فيقولون: يا عيسى أنت رسول الله وكلمته ألقاها إلى مريم وروح منه، وكلّمتَ الناس في المهد صبياً، اشفع لنا إلى ربك ألا ترى إلى ما نحن فيه، فيقول عيسى: إن ربي غضب اليوم غضباً لم يغضب قبله مثله قط ولن يغضب بعده مثله، ولم يذكر ذنباً، نفسي نفسي، اذهبوا إلى غيري، اذهبوا إلى محمد (ﷺ)، فيأتوني، فيقولون: أنت رسول الله وخاتم الأنبياء وقد غفر الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر اشفع لنا إلى ربك، ألا ترى ما نحن فيه؟! فأنطلق فآتي تحت العرش فأقع ساجداً لربي عز وجل، ثم يفتح الله علي من محامده وحسن الثناء عليه شيئاً لم يفتحه على

أحد قبلي، ثم يقال: يا محمد ارفع رأسك وسل تعط واشفع تشفّع، فأرفع رأسي فأقول أمتي يا رب أمتي يا رب أمتي يا رب، فيقال: يا محمد أدخل من أمتك من لا حساب عليهم من الباب الأيمن من أبواب الجنة وهم شركاء الناس فيما سوى ذلك من الأبواب، ثم قال: والذي نفسي بيده إن ما بين المصراعين من مصاريع الجنة كما بين مكة وحمير أو كما بين مكة وبصرى»

- **وعليه فأهوال الموقف** في يوم القيامة شديدة وطويلة، وهناك صنف من الناس يعفيهم الله منها ويجلسهم في ظل ظليل، وقد أخرج البخاري عن أبي هريرة أن النبي (ﷺ) قال: «سبعة يظلهم الله في ظله يوم لا ظل إلا ظله؛ الإمام العادل، وشاب نشأ في عبادة ربه، ورجل قلبه معلق بالمساجد، ورجلان تحابا في الله اجتمعا عليه وتفرقا عليه، ورجل طلبته امرأة ذات منصب وجمال فقال إني أخاف الله، ورجل تصدق بصدقة فأخفاها حتى لا تعلم شماله ما تنفق يمينه، ورجل ذكر الله خالياً ففاضت

عيناه﴾ وكذلك الأنبياء والصديقون والشهداء لهم أماكنهم الخاصة آمنين من أهوال هذا اليوم ﴿مَن جَآءَ بِٱلْحَسَنَةِ فَلَهُۥ خَيْرٌ مِّنْهَا وَهُم مِّن فَزَعٍ يَوْمَئِذٍ ءَامِنُونَ ﴿٨٩﴾﴾ [النمل: ٨٩].

- **ميزة لأمة محمد ﴿ﷺ﴾**

وينجو الصالحون من أمة محمد ﴿ﷺ﴾ من أهوال يوم القيامة، حيث الملتقى مع نبيهم ﴿ﷺ﴾ على الحوض، وقد ورد في الحوض أحاديث كثيرة مبشرة نورد منها ما يلي: أخرج مسلم عن جابر بن سمرة أن رسول الله ﴿ﷺ﴾ قال: ﴿**ألا إني فرطكم على الحوض وإن بُعْدَ ما بين طرفيه كما بين صنعاء وأيلة**- هي إيلات الآن - **كأن الأباريق فيه النجوم**﴾ والفرط: المتقدم، وأخرج البخاري ومسلم عن عبد الله بن عمرو بن العاص، قال : قال رسول الله ﴿ﷺ﴾: ﴿**حوضي مسيرة شهر ماؤه**

أبيض من اللبن وريحه أطيب من المسك وكيزانه كنجوم السماء من شرب منه لا يظمأ أبداً﴾

## فمن الذي يرد هذا الحوض ؟

أخرج البخاري أن النبي ﴿ﷺ﴾ قال : ﴿إن حوضي أبعد من أيلة من عدن لهو أشد بياضاً من الثلج وأحلى من العسل باللبن ولآنيته أكثر من عدد النجوم وإني لأصد الناس عنه كما يصد الرجل إبل الناس عن حوضه، قالوا : يا رسول الله، أتعرفنا يومئذ؟ قال: لكم سيما ليست لأحد من الأمم تردون علي غرّاً محجلين من أثر الوضوء﴾

فالأمم الأخرى السابقة لا تنعم بهذه الميزة، كما لا ينعم بها من غيّر وبدّل من أمة محمد ﴿ﷺ﴾، فقد أخرج البخاري عن أسماء بنت أبي بكر الصديق رضي الله عنهما قالت: قال النبي ﴿ﷺ﴾: ﴿إني على الحوض حتى أنظر من يرد علي منكم وسيؤخذ ناس دوني، فأقول: يا رب مني ومن أمتي، فيقال: هل شعرت ما عملوا بعدك؟ والله ما برحوا يرجعون على أعقابهم﴾

وأخرج أيضاً عن سهل بن سعد قال: سمعت النبي ﴿ﷺ﴾ يقول:

﴿أنا فرطكم على الحوض فمن ورد شرب منه ومن شرب منه لم يظمأ بعده أبداً ليرد علي أقوام أعرفهم ويعرفوني ثم يحال بيني وبينهم، وزاد أبو سعيد الخدري " قال النبي ﴿ﷺ﴾: إنهم مني، فيقال: لا تدري ما أحدثوا بعدك، فأقول: سحقاً، سحقاً لمن بدّل بعدي﴾

## سور من القرآن صورت مشاهد من الموقف:

في كل من سورة التكوير والانفطار والانشقاق وصف لأهوال يوم القيامة، فقد أخرج أحمد والترمذي عن ابن عمر أن رسول الله ﴿ﷺ﴾ قال: ﴿من سره أن ينظر إلى يوم القيامة كأنه رأي عين ، فليقرأ﴾: ﴿إِذَا ٱلشَّمْسُ كُوِّرَتْ ۝١﴾ [التكوير: ١] و ﴿إِذَا ٱلسَّمَآءُ ٱنفَطَرَتْ ۝١﴾ [الانفطار: ١] و﴿إِذَا ٱلسَّمَآءُ ٱنشَقَّتْ ۝١﴾ [الانشقاق: ١].

• ففي السورة الأولى تتكور الشمس بمعنى تضمحل ويذهب ضوءها، وتنكدر النجوم فيخفت بريقها وتتلاشى فتنتهي زينة السماء، وأما على الأرض فتسير الجبال وتصبح هشيماً، وينتهي ماء البحر ويحل محله النيران فيصبح البحر كالتنور المسجر، وأما تزويج النفوس فهو عودة الأرواح في الأجساد واقتران الصالحين معاً إيناساً بعضهم ببعض واقتران الأشرار بعضهم مع بعض أيضاً، وتسأل الموءودة عن سبب قتلها بدفنها في التراب حية أمام من فعل بها هذا تبكيتاً له على فعلته، ثم تنشر الصحف وتتطاير فتعلق كل صحيفة بصاحبها فإن كان من أصحاب اليمين فتأتيه بيده اليمنى وإن كان من أصحاب الشمال فتأتيه بيده اليسرى ولا فكاك من هذا، وتكشط السماء وتزول ﴿ يَوْمَ تُبَدَّلُ

﴿ٱلْأَرْضُ غَيْرَ ٱلْأَرْضِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ وَبَرَزُوا۟ لِلَّهِ ٱلْوَٰحِدِ ٱلْقَهَّارِ ﴿٤٨﴾﴾ [إبراهيم: ٤٨] وتسعر جهنم وتُخرج أصواتاً مرعبة أقوى من العواصف والبروق مما فيها من لهيب وسعير ، أما الجنة فتظهر بجمالها وتقرب من المؤمنين حيث ينظرها كل مؤمن فترتاح نفسه ويهدا خاطره وهنا ﴿عَلِمَتْ نَفْسٌ مَّآ أَحْضَرَتْ ﴿١٤﴾﴾ [التكوير: ١٤] سواء بالنسبة للمؤمنين أو الكافرين فقد وضح تماماً مصير كل إنسان.

- **في سورة الانفطار:**

بيان لحال السماء والكواكب والبحار بأسلوب يفيد الاستجلاء والتوضيح لما ذكر في سورة التكوير مع زيادة بعثرة القبور ليخرج منها الأموات، وفي سورة الانشقاق: تزيدنا علماً عن الصحف التي نشرت وحالة كل إنسان عندما يأتيه كتابه بيمينه من السرور والفرح وتبشير أهله بما حاز، وحالة من جاءه

كتابه بشماله ومن خوفه خبأه وراء ظهره ،فيعرف أنه وقع في الهلاك، ويذكر في لحظات حاله حينما كان في الدنيا مسروراً يعيش بلا ضابط ولا وازع، وكان في ظنه أنه لن يأتي مثل هذا اليوم، ويبقى الحال في هذا اليوم العصيب إلى أن تتجلي الأمور ويعرف كل إنسان مصيره، وهناك يُدفعون إلى الصراط ليعبروا إما إلى جنة وهم أهل كتاب اليمين؛ وإما إلى الهوي في جهنم وهم أهل كتاب الشمال، لأن الصراط منتصب فوقها وهذا معنى قوله تعالى ﴿وَإِن مِّنكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا ...﴾ [مريم: ٧١] وفي مسند أحمد عن جابر قال:سمعت رسول الله (ﷺ) يقول: «**الورود الدخول، لا يبقى بر ولا فاجر إلا دخلها فتكون على المؤمن برداً وسلاماً كما كانت على إبراهيم حتى إن للنار أو قال لجهنم ضجيجاً من بردهم، ثم ينجي الله الذين اتقوا ويذر الظالمين فيها جثياً**» وأخرج مسلم عن عائشة رضي الله عنها، قالت: سألت رسول الله (ﷺ) عن

قوله عز وجل ﴿ يَوْمَ تُبَدَّلُ ٱلْأَرْضُ غَيْرَ ٱلْأَرْضِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ وَبَرَزُوا۟ لِلَّهِ ٱلْوَٰحِدِ ٱلْقَهَّارِ ﴿٤٨﴾ ﴾ [إبراهيم: ٤٨] فأين يكون الناس يومئذ يا رسول الله؟ فقال: ﴿على الصراط﴾ وأخرج أبو داود عن عائشة رضي الله عنها أنها ذكرت النار فبكت، فقال رسول الله ﴿ﷺ﴾: ﴿ما يبكيك؟ قالت ذكرت النار فبكيت فهل تذكرون أهليكم يوم القيامة ؟ فقال رسول الله ﴿ﷺ﴾: **أمّا في ثلاثة مواطن فلا يذكر أحد أحداً ؛ عند الميزان حتى يعلم أيخف أو يثقل ، وعند الكتاب حين يقال ( هَآؤُمُ ٱقْرَءُوا۟ كِتَٰبِيَهْ ﴿١٩﴾ )** [الحاقة: ١٩] **حتى يعلم أين يقع كتابه أفي يمينه أم في شماله أم من وراء ظهره، وعند الصراط إذا وضع بين ظهري جهنم**﴾ وفي هذه المواقف يقول كل إنسان نفسي نفسي ﴿ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا يَوْمُ ٱلدِّينِ ﴿١٧﴾ ثُمَّ مَآ أَدْرَىٰكَ مَا يَوْمُ ٱلدِّينِ ﴿١٨﴾ يَوْمَ لَا تَمْلِكُ نَفْسٌ لِّنَفْسٍ شَيْـًٔا ۖ وَٱلْأَمْرُ يَوْمَئِذٍ لِّلَّهِ ﴿١٩﴾ ﴾ [الانفطار: ١٧ – ١٩]،

فيتشاح الناس ولا يجود أحدهم بالحسنة حتى على أقرب الناس إليه ﴿فَإِذَا جَآءَتِ ٱلصَّآخَّةُ ﴿٣٣﴾ يَوْمَ يَفِرُّ ٱلْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ ﴿٣٤﴾ وَأُمِّهِۦ وَأَبِيهِ ﴿٣٥﴾ وَصَٰحِبَتِهِۦ وَبَنِيهِ ﴿٣٦﴾ لِكُلِّ ٱمْرِئٍ مِّنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ يُغْنِيهِ ﴿٣٧﴾﴾ [عبس: ٣٣ - ٣٧] أي يشغله عن غيره، هذا قبل معرفة الحال فكيف بمن يعرف مصيره ؟ عند ذلك لا يهمه ولد ولا زوج إذا ما قدمهم فداء له ﴿يُبَصَّرُونَهُمْ يَوَدُّ ٱلْمُجْرِمُ لَوْ يَفْتَدِى مِنْ عَذَابِ يَوْمِئِذٍ بِبَنِيهِ ﴿١١﴾ وَصَٰحِبَتِهِۦ وَأَخِيهِ ﴿١٢﴾ وَفَصِيلَتِهِ ٱلَّتِى تُـْٔوِيهِ ﴿١٣﴾﴾ [المعارج: ١١ - ١٣] لكن هذه المشاحة تزول إذا اطمأن أهل الجنة إلى مصيرهم فعندما يفقد هؤلاء أناساً كانوا معهم على الخير ولكن غلبت سيئاتهم حسناتهم فطرحوا في النار؛ يطلبون لهم الشفاعة فيؤذن لهم بذلك، فقد أخرج أبو داود عن أم الدرداء، قالت سمعت أبا الدرداء يقول: قال رسول الله ﷺ: **«يشفع الشهيد في سبعين من أهل بيته»** وعن أبي سعيد أن

رسول الله ﷺ قال: ﴿إن من أمتي من يشفع للفئام من الناس، ومنهم مَنْ يشفع للقبيلة، ومنهم من يشفع للعصبة، ومنهم من يشفع للرجل حتى يدخلون الجنة﴾ والحديث حسن، والفئام: الجماعة الكثيرة.

- **وفي سورة الغاشية** إضافات جديدة لوصف الموقف حيث اقترب من المكان الذي يستحقونه ﴿هَلْ أَتَىٰكَ حَدِيثُ ٱلْغَٰشِيَةِ ۝١ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ خَٰشِعَةٌ ۝٢ عَامِلَةٌ نَّاصِبَةٌ ۝٣ تَصْلَىٰ نَارًا حَامِيَةً ۝٤ تُسْقَىٰ مِنْ عَيْنٍ ءَانِيَةٍ ۝٥ لَّيْسَ لَهُمْ طَعَامٌ إِلَّا مِن ضَرِيعٍ ۝٦ لَّا يُسْمِنُ وَلَا يُغْنِى مِن جُوعٍ ۝٧﴾ [الغاشية: ١ - ٧] والغاشية على قول أكثر المفسرين أنه يوم القيامة وقيل النار عندما تغشاهم، وأقول إن هذه الآيات ذكرت الطريق من الموقف وحتى دخول النار باختصار، حيث الوجوه الخاشعة في الموقف، ثم لما صرفت إلى النار بدأ جانب من مشاهد أهل النار (عَامِلَةٌ نَّاصِبَةٌ

﴿٣﴾ تعمل في جر السلاسل والأغلال وهي تنصب من هذا العمل الشاق، وما بعد هذه الآية مشاهد في النار، حيث النار الحامية والعين الآنية المحرقة لجوف من يشربها لأنها من الصهير، ثم الطعام ويا بئس الطعام هذا لا يشبع جائعاً كما أن الشراب لا يروي عطشاً، والضريع: نبات منتن، وقيل شجر خاص ينبت في جهنم هو طعام أهل النار، وكما ينوع لهم العذاب ينوع لهم الطعام المنغص لهم، قال الله تعالى: ﴿أَذَٰلِكَ خَيْرٌ نُّزُلًا أَمْ شَجَرَةُ الزَّقُّومِ ﴿٦٢﴾ إِنَّا جَعَلْنَٰهَا فِتْنَةً لِّلظَّٰلِمِينَ ﴿٦٣﴾ إِنَّهَا شَجَرَةٌ تَخْرُجُ فِىٓ أَصْلِ الْجَحِيمِ ﴿٦٤﴾ طَلْعُهَا كَأَنَّهُۥ رُءُوسُ الشَّيَٰطِينِ ﴿٦٥﴾ فَإِنَّهُمْ لَءَاكِلُونَ مِنْهَا فَمَالِـُٔونَ مِنْهَا الْبُطُونَ ﴿٦٦﴾ ثُمَّ إِنَّ لَهُمْ عَلَيْهَا لَشَوْبًا مِّنْ حَمِيمٍ ﴿٦٧﴾ ثُمَّ إِنَّ مَرْجِعَهُمْ لَإِلَى الْجَحِيمِ ﴿٦٨﴾﴾ [الصافات: ٦٢ – ٦٨] وهذا أخوف وصف لحالة الكفار

وطعامهم، حتى لقد استخدم وصفاً لم يعرف على الحقيقة وهو تشبيهها برؤوس الشياطين وذلك مبالغة في التخويف ليتخيل كل متخيل شكلها وفق ما يتصور غير أنها رهيبة مخيفة يكفيها أنها تنبت في أصل الجحيم ففيها من الحرارة ما يصف شدتها، وقد استهزأ أبو جهل بهذه الشجرة وقال أمام أتباعه بلغة المستهزئ: زقمونا، لأن كلمة الزقوم بلغة أهل اليمن هي التمر مع الزبد، وأخرج أحمد عن ابن عباس أن أبا جهل قال: "يخوفنا محمد بشجرة الزقوم هاتوا تمراً وزبداً فتزقموا" وجاء وصف مختصر للزقوم ليتعرف عليه أبو جهل وأمثاله، فقد أخرج الترمذي عن ابن عباس أن النبي ﷺ قال: **﴿لو أن قطرة من الزقوم قطرت في دار الدنيا لأفسدت على أهل الدنيا معايشهم فكيف بمن يكون طعامه؟﴾** وفي رواية أحمد وابن ماجه **﴿فكيف**

بمن هو طعامه وليس له طعام غيره؟» والحديث حسن صحيح.

• **وفي سورة مريم** مشهد آخر من مشاهد يوم القيامة ثم مآل الكافرين إلى النار:

﴿فَوَرَبِّكَ لَنَحْشُرَنَّهُمْ وَالشَّيَاطِينَ ثُمَّ لَنُحْضِرَنَّهُمْ حَوْلَ جَهَنَّمَ جِثِيًّا ﴿٦٨﴾ ثُمَّ لَنَنزِعَنَّ مِن كُلِّ شِيعَةٍ أَيُّهُمْ أَشَدُّ عَلَى الرَّحْمَٰنِ عِتِيًّا ﴿٦٩﴾ ثُمَّ لَنَحْنُ أَعْلَمُ بِالَّذِينَ هُمْ أَوْلَىٰ بِهَا صِلِيًّا ﴿٧٠﴾ وَإِن مِّنكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا كَانَ عَلَىٰ رَبِّكَ حَتْمًا مَّقْضِيًّا ﴿٧١﴾ ثُمَّ نُنَجِّي الَّذِينَ اتَّقَوا وَّنَذَرُ الظَّالِمِينَ فِيهَا جِثِيًّا ﴿٧٢﴾﴾ [مريم: ٦٨ – ٧٢] فالحشر عام للإنس والجن وعتاة الإنس مع عتاة الجن وهم الشياطين، وهذا أمر حاصل للقسم (فَوَرَبِّكَ) وبعد هول يوم الحشر يأتي الهول الأكبر والأشد وهو الإحضار حول جهنم جاثين على الركب، وأما كبار المجرمين فلهم استقبال يليق بهم، فإذا كان هؤلاء قد احتموا في الدنيا بالأشياع والأتباع فهاهم

اليوم يُنتزعون من بينهم انتزاعاً ليلاقوا أشد أنواع العذاب، لكن الآية التي اضطرب لها الصحابة وبكوا وخافوا أن تحل بهم (وَإِن مِّنكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا) فجاءتهم الطمأنينة من رب العالمين (ثُمَّ نُنَجِّي الَّذِينَ اتَّقَوا) وقد تباينت آراء المفسرين للجمع بين هذا الورود المحتوم وبين ﴿إِنَّ الَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُم مِّنَّا الْحُسْنَىٰ أُولَٰئِكَ عَنْهَا مُبْعَدُونَ ﴿١٠١﴾﴾ [الأنبياء: ١٠١] أي عن النار، والجواب فيما أرى أنه قد ذكر في حديث المرور على الصراط أنه ينصب فوق جهنم ويمر الناس فوقه، فمنهم من يمر مثل البرق فهذا بالطبع ورودها ولكن لم يشعر بحرها لسرعة المرور وهكذا ستكون سرعة المرور حسب الأعمال وأما الكفار فيسقطون فيها – وقد أوردت حديث النبي ﷺ عند الكلام عن الصراط –

• **وفي سورة المرسلات:** مزيد بيان لأهوال يوم القيامة ﴿فَإِذَا ٱلنُّجُومُ طُمِسَتْ ﴿٨﴾﴾ [المرسلات: ٨] ذهب ضوءُها تماماً كالبدر في ليلة الخسوف التام وهذا أمر مخيف ومرعب لسماء نجومها سوداء﴿وَإِذَا ٱلسَّمَآءُ فُرِجَتْ ﴿٩﴾﴾ [المرسلات: ٩] تشققت وتصدعت وهوت هنا وهناك والناس في خوف ينظرون إلى هذا الحدث الجلل، ومن رحمة الله تعالى بالمؤمنين أن هذا الأمر يحدث وما على وجه الأرض موحد؛ فإذا قامت القيامة قامت على الكفار والملحدين، وقد لا يستوعب الناس تصدع السماء لأنهم لم يروها ويعتقدون أن ما فوقهم فضاء لا نهائي وهذا خطأ؛ فبُعد المسافة لا ترينا السماء لأن الله تعالى قال: ﴿وَٱلسَّمَآءَ بَنَيْنَٰهَا بِأَيْيْدٍ وَإِنَّا لَمُوسِعُونَ ﴿٤٧﴾﴾ [الذاريات: ٤٧] وقال ﴿ٱلَّذِى خَلَقَ سَبْعَ

سَمَٰوَٰتٍ طِبَاقًا ۖ مَّا تَرَىٰ فِى خَلْقِ ٱلرَّحْمَٰنِ مِن تَفَٰوُتٍ ۖ فَٱرْجِعِ ٱلْبَصَرَ هَلْ تَرَىٰ مِن فُطُورٍ ﴿٣﴾﴾ [الملك: ٣] وأن النبي ﴿ﷺ﴾ أخبرنا عندما عرج به إلى السموات أن جبريل كان يستفتح له كل سماء، وفي الحديث الذي أخرجه أحمد عن عبد الله بن عمرو أن رسول الله ﴿ﷺ﴾ قال: ﴿لو أن رصاصة مثل هذه – وأشار إلى مثل جمجمة – أرسلت من السماء وهي مسيرة خمسمائة سنة لبلغت الأرض قبل الليل، ولو أرسلت من رأس السلسلة – التي في نار جهنم – لسارت أربعين خريفاً الليل والنهار قبل أن تبلغ أصلها أو قعرها﴾ فعلى هذا فأرضنا ضئيلة الحجم بالنسبة للنار وأدواتها ﴿وَإِذَا ٱلْجِبَالُ نُسِفَتْ ﴿١٠﴾﴾ [المرسلات: ١٠] أصبحت هباء ﴿وَإِذَا ٱلرُّسُلُ أُقِّتَتْ ﴿١١﴾ لِأَىِّ يَوْمٍ أُجِّلَتْ ﴿١٢﴾ لِيَوْمِ ٱلْفَصْلِ ﴿١٣﴾ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا يَوْمُ ٱلْفَصْلِ ﴿١٤﴾﴾ [المرسلات: ١١ – ١٤] وقد جُمع الرسل صلوات الله وسلامه عليهم لهذا

اليوم ليشهدوا على أهل زمانهم، وأنهم بلّغوا الدعوة وبذلوا كل الجهد في سبيل ذلك ، والله تعالى عالم بما فعلوا؛ ولكن ليقيم الحجة على الكافرين، وتشهد أمة محمد على صدق هؤلاء الرسل ويزكي شهادتهم رسولهم محمد ﷺ ﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا۟ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا ... ﴿١٤٣﴾ ﴾ [البقرة: ١٤٣] ﴿ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ﴿١٥﴾ ﴿١٩﴾ ﴿٢٤﴾ ﴾ [المرسلات: ١٥/١٩/٢٤] توعد الله المكذبين لرسلهم بالعذاب في جهنم، وفي سورة النساء بيان حال هؤلاء المكذبين ﴿ فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِن كُلِّ أُمَّةٍۭ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِ شَهِيدًا ﴿٤١﴾ يَوْمَئِذٍ يَوَدُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَعَصَوُا۟ ٱلرَّسُولَ لَوْ تُسَوَّىٰ بِهِمُ ٱلْأَرْضُ وَلَا يَكْتُمُونَ ٱللَّهَ حَدِيثًا ﴿٤٢﴾ ﴾ [النساء: ٤١ – ٤٢] ثم يقاد هؤلاء

المكذبون إلى نار جهنم وقد كانوا لا يؤمنون بوجودها ولا بالحساب؛ فأراهم الله وجودها حقيقة بإدخالهم فيها ﴿انطَلِقُوٓاْ إِلَىٰ مَا كُنتُم بِهِۦ تُكَذِّبُونَ ﴿٢٩﴾﴾ [المرسلات: ٢٩] ثم لننظر إلى براعة التصوير في قوله تعالى ﴿انطَلِقُوٓاْ إِلَىٰ ظِلّٖ ذِي ثَلَٰثِ شُعَبٖ ﴿٣٠﴾ لَّا ظَلِيلٖ وَلَا يُغۡنِي مِنَ ٱللَّهَبِ ﴿٣١﴾ إِنَّهَا تَرۡمِي بِشَرَرٖ كَٱلۡقَصۡرِ ﴿٣٢﴾ كَأَنَّهُۥ جِمَٰلَتٞ صُفۡرٞ ﴿٣٣﴾﴾ [المرسلات: ٣٠ – ٣٣] فالظل المجسم بأبعاده الثلاثة أوضح صورة من اللوحة ذات البعد الواحد، ولم يتوصل إلى تجسيم الصورة بآلات التصوير إلا مؤخراً – نهاية القرن العشرين الميلادي – قال المفسرون عن هذا الظل: لهب النار إذا ارتفع وصعد معه دخان فمن شدته وقوته له ثلاث شعب، وقالوا:دخان جهنم إذا تصاعد انقسم ثلاث شعب، وقيل: لهب وظل من يحموم ودخان، وهذا جيد ،وإذا كان لهذا

الثلاثي ظل فهو بطبيعة الحال حار لا يدفع عنهم حر نار جهنم بل يزيدها لشدته حرّاً ،ويضاف لهذا المنظر رمي النار بشررها بين حين وآخر، وأقرب تصور لهذا الحدث في الدنيا هو ثوران البراكين التي تقذف بالحمم البركانية الملتهبة عندما تعلو فوهة البركان مع رميها بالرماد البركاني الحارق وبالصهير المؤلف من المعادن التي تشبه النحاس المذاب سيلاناً وشدة احمرار.

## فما الصراط ؟

أخرج البخاري عن أبي هريرة أن الناس قالوا: يا رسول الله هل نرى ربنا يوم القيامة؟ فقال رسول الله ﷺ: **﴿هل تضارون في القمر ليلة البدر؟ قالوا: لا يا رسول الله، قال: فهل تضارون في الشمس ليس دونها سحاب؟ قالوا: لا يا رسول، قال: فإنكم ترونه كذلك؛ يجمع الله الناس يوم القيامة فيقول مَن كان يعبد شيئاً فليتبعه، فيتبع من كان يعبد الشمس الشمس، ويتبع من كان يعبد القمر**

القمر، ويتبع من كان يعبد الطواغيت الطواغيت، وتبقى هذه الأمة فيها منافقوها فيأتيهم الله في غير الصورة التي يعرفونها فيقول أنا ربكم، فيقولون: نعوذ بالله منك هذا مكاننا حتى يأتينا ربنا فإذا أتانا ربنا عرفناه، فيأتيهم الله في الصورة التي يعرفون، فيقول: أنا ربكم، فيقولون: أنت ربنا فيتبعونه ويُضرب الصراط بين ظهري جهنم – جسر جهنم - فأكون أنا وأمتي أول من يجيزها، ولا يتكلم يومئذ إلا الرسل ودعوى الرسل يومئذ: اللهم سَلّم سلّم، وفي جهنم كلاليب مثل شوك السعدان، هل رأيتم السعدان؟ قالوا: نعم يا رسول الله، قال: فإنها مثل شوك السعدان غير أنه لا يعلم ما قدْر عِظَمِها إلا الله ؛ تخطف الناس بأعمالهم فمنهم الموبق بعمله، ومنهم المخردل، حتى إذا فرغ الله من القضاء بين عباده وأراد أن يُخرج برحمته من أراد من أهل النار ؛ أمر الملائكة أن يخرجوا من النار من كان لا يشرك بالله شيئاً ممن أراد الله أن يرحمه ممن يشهد أن لا إله إلا الله، فيعرفونهم في النار بأثر السجود تأكل النار ابن آدم

إلا أثر السجود حرم الله على النار أن تأكل أثر السجود، فيخرجون من النار قد امتحشوا فيُصَبُّ عليهم ماء الحياة فينبتون تحته كما تنبت الحبة في حميل السيل، ثم يفرغ الله من القضاء بين العباد ويبقى منهم رجل مقبل بوجهه على النار هو آخر أهل النار دخولاً الجنة، فيقول: أي رب اصرف وجهي عن النار فإنه قد قشبني ريحها وأحرقني ذُكاؤها، فيدعو الله بما شاء أن يدعوه ثم يقول الله: هل عسيت إن أعطيتك ذلك أن تسألني غيره؟! فيقول لا وعزتك لا أسألك غيره، ويعطي ربه من عهود ومواثيق ما شاء، فيصرف الله وجهه عن النار، فإذا أقبل على الجنة ورآها سكت ما شاء الله له أن يسكت، ثم يقول: أي رب قدمني إلى باب الجنة، فيقول الله له: ألست أعطيت عهودك ومواثيقك أن لا تسألني غير الذي أُعطِيتَ أبداً ويلك يا ابن آدم ما أغدرك، فيقول: أي رب ويدعو الله حتى يقول: هل عسيت إن أعطيت ذلك أن تسأل غيره، فيقول: لا وعزتك لا أسألك غيره، ويعطي ما شاء من عهود

ومواثيق، فيقدمه إلى باب الجنة، فإذا قام إلى باب الجنة انفهقت له الجنة فرأى ما فيها من الحبرة والسرور، فيسكت ما شاء الله أن يسكت ثم يقول: أي رب أدخلني الجنة، فيقول الله: ألست قد أعطيت عهودك ومواثيقك أن لا تسأل غير ما أعطيت، فيقول: ويلك يا ابن آدم ما أغدرك فيقول: أي رب لا أكون أشقى خلقك، فلا يزال يدعو حتى يضحك الله منه، فإذا ضحك منه قال له: ادخل الجنة فإذا دخلها قال الله: تمنه، فسأل ربه وتمنى حتى إن الله ليذكّره يقول: كذا وكذا حتى انقطعت به الأماني، قال الله ذلك لك ومثله معه – وفي رواية أبي سعيد وعشرة أمثاله– فذلك الرجل آخر أهل الجنة دخولاً الجنة» تضارّون: تشكّون ويشتبه عليكم – شوك السعدان: نبات له شوك حاد – الموبق: الذي يسقط بعمله ولا ينجو – المخردل: الذي تقطع الكلاليب شيئاً من جسمه لكنه ينجو – امتحشوا: احترقوا – ذكاؤها :لهيبها

– الطواغيت: كل ما يُعبد من دون الله من أصنام وأوثان وغير ذلك .

- **وفي صورة لمرور** الناس على الصراط في صحيح مسلم عن أبي هريرة أن الناس يأتون النبي ﷺ ليستفتح لهم الجنة بعد أن اعتذر الأنبياء، قال: ﴿فيأتون محمداً ﷺ فيقوم فيؤذن له وتُرسَل الأمانة والرحم فتقومان جنبتي الصراط يميناً وشمالاً، فيمر أولكم كالبرق، قال أبو هريرة : قلت بأبي أنت وأمي أي شيء كمر البرق ؟ قال: ألم تروا إلى البرق كيف يمر ويرجع في طرفة عين ، ثم كمر الريح، ثم كمر الطير وشد الرجال تجري بهم أعمالهم ونبيكم قائم على الصراط يقول: رب سَلّم سلم حتى تعجز أعمال العباد حتى يجيء الرجل فلا يستطيع السير إلا زحفاً قال: وفي حافتي الصراط كلاليب معلقة مأمورة بأخذ من أمرت به، فمخدوش ناج ومكدوس في النار والذي نفس أبي هريرة بيده إن قعر جهنم لسبعون خريفاً﴾